يمنعُ من إتيانِ ما لا ينبغي، كما سُمِّيَ عقلاً تشبيهاً له بالعِقَالِ، قال الله تعالى: ﴿هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر: ٥]»[١].

ولهم في هذا القسم أمثلة أخرى[٢]، وهي تدلُّ بمجموعها على أنَّ السَّلف اعتمدوا الشَّاهد الشِّعريَّ في التَّفسير، وسيأتي بيان ذلك، إن شاء الله.

القسمُ الثاني: أن يستشهدوا بالنَّثْرِ:

وهو نوعان:

النوعُ الأولُ: أنْ يَنُصُّوا على لغةِ القبيلةِ التي نزلَ القرآنُ بلفظِها[٣].

نزل القرآنُ بجملةٍ من ألفاظِ قبائلِ العربِ، أمَّا أغلبُه فكانَ بلغةِ

---

(١) مقاييس اللغة (٢: ١٣٨).

(٢) من هذه الأمثلة:

١ ـ عن ابن عباس في لفظ «يبدِّل الله» تفسير الطبري، ط: الحلبي (١٩: ٤٧)، ولفظ «مريج» تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٦: ١٥٠)، ولفظ «وسق» فضائل القرآن لأبي عبيد (ص: ٢٠٦)، والدر المنثور (٨: ٤٥٨ ـ ٤٥٩)، ولفظ «حفدة» الدر المنثور (٥: ١٤٩)، ولفظ «قسورة» تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٩: ١٦٩ ـ ١٧٠)، ولفظ «سربا» الدر المنثور (٥: ٥٠٣)، ولفظ «ساق» الدر المنثور (٨: ٢٥٤)، ولفظ «دارست» مصنف ابن أبي شيبة (١٠: ٤٧٦). ولا يخفى ما ورد عن ابن عباس من الشواهد الشعرية في سؤالات نافع الأزرق، وسيأتي الحديث عنها لاحقاً.

٢ ـ وعن سعيد بن جبير في لفظ «أُخفيها» الدر المنثور (٥: ٥٦٣).

٣ ـ وعن مجاهد في لفظ «اللَّمم» تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٧: ٦٦ ـ ٦٧).

٤ ـ وعن عكرمة في لفظ «تعولوا» تفسير الطبري، تحقيق: شاكر (٧: ٥٥٠)، ولفظ «أفنان» تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٧: ١٤٧).

٥ ـ وعن ابن زيد في لفظ «السرد» تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٢: ٦٧)، ولفظ «القاسطون» تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٩: ١١٣)، ولفظ «جابوا» تفسير الطبري: الحلبي (٣٠: ١٧٩)، ولفظ «رحيق» تفسير الطبري، ط: الحلبي (٣٠: ١٠٥).

٦ ـ عن مسلم بن جندب الهذلي لفظ «ردءاً يصدقني» الجزء الذي فيه تفسير يحيى بن اليمان (ص: ٤٤).

(٣) ينظر: في موضوع اللغات التي نزل بها القرآن: كتاب اللغات المسند إلى ابن عباس، =

الرسول ﷺ: لغةِ قريشٍ؛ لذا كان المفسِّرونَ من السَّلفِ يُعيِّنونَ القبيلةَ التي نزل القرآنُ بلفظِها.

ولَعَلَّ هذا يُفسِّرُ ما وقعَ لبعضِ الصَّحابةِ ﷺ من جهلِ شيءٍ من معاني ألفاظِه؛ كالذي وقعَ لعمرَ بنِ الخطابِ ﷺ في عدمِ معرفتِه معنى «الأبِّ» من قوله تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]،

عن أنسِ بنِ مالكٍ ﷺ قال: «قرأ عمرُ بنُ الخطابِ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا﴾ [عبس: ٣١]، ومعه عصا في يدِه، فقال: ما الأَبُّ؟، ثمَّ قالَ: بِحَسبِنَا ما قد عَلِمنَا، وألقى العصا من يدِه»[(١)].

والذي وقع لابن عباس (ت:٦٨) في لفظ: فاطر السموات، فقد ورد عنه أنَّه قالَ: «كنتُ لا أدري ما فاطر السَّموات؟ حتى أتاني أعرابيَّان يختصمان في بئرٍ، فقال أحدهُما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها»[(٢)].

ومن أمثلة ما فسَّروه بلغات العرب:

١ ـ عن أبي الصَّلت الثقفي[(٣)]: «أنَّ عمرَ بنَ الخطَّابِ ـ رحمةُ اللهِ عليه ـ قرأ هذه الآية: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥] بنصب الراءِ. قال: وقرأ بعض من عنده من أصحاب رسول الله ﷺ: «ضَيِّقاً حَرِجاً»[(٤)].

= تحقيق: صلاح الدين المنجد، والإتقان في علوم القرآن، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم (٢: ٨٩)، وكتاب معجم لغات القبائل والأمصار، للدكتور جميل سعيد وداود سلوم، ثُمَّ ينظر: من كتب في هذا الموضوع في كتاب معجم المعاجم، لأحمد الشرقاوي إقبال (ص:١٦ ـ ١٧).

(١) تفسير الطبري، ط: الحلبي (٣٠: ٥٩).

(٢) فضائل القرآن، لأبي عبيد (ص:٢٠٦)، وينظر: غريب الحديث، له، تحقيق: حسين محمد محمد شرف (٥: ٤١٢)، والدر المنثور (٧: ٣).

(٣) أبو الصلت الثقفي، روى عن عمر ﷺ، وعنه عبد الله بن عمار اليمامي، وهو مقبول، ينظر: الجرح والتعديل (٩: ٣٩٤) وتقريب التهذيب (ص:١١٦٣).

(٤) قرأ بكسر الراء نافع وعاصم من رواية أبي بكر شعبة، وقرأ الباقون بالفتح، ينظر: إعراب القراءات السبع وعللها، لابن خالويه (١: ١٦٩).

قالَ صفوانُ[١]: فقالَ عمرُ: أَبغُوني رَجُلاً من كِنَانةَ، واجعلوه راعيَ غنمٍ، وليكن مُدْلِجياً[٢]. قالَ: فأتوا به. فقالَ عمرُ: يا فتى ما الحرجةُ؟

قالَ: الحرجةُ فينا: الشَّجرةُ تكونُ بينَ الأشجارِ التي لا تصلُ إليها راعيةٌ ولا وَحْشِيَّةٌ ولا شيءٌ.

قالَ عمرُ: كذلك قلبُ المنافقِ لا يَصِلُ إليه شيءٌ من الخيرِ»[٣].

وقد قالَ محمود شاكر في تعليقِه على هذا الأثرِ: «وهذا خبرٌ عزيزٌ جداً في بيانِ روايةِ اللُّغةِ وشرحِها، وسؤالِ الأعرابِ والرُّعاةِ عنها»[٤].

٢ ـ وعن عكرمةَ (ت:١٠٥)، عن ابنِ عباس (ت:٦٨) في قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١] قالَ: «هو الغِناءُ. كانوا إذا سَمِعُوا القرآنَ تَغَنَّوا ولَعِبُوا، وهي لغةُ أهلِ اليمنِ. قالَ اليمانيُ: اسْمُد»[٥].

---

(١) لم يتبيَّن لي من صفوان هذا، إذ فيه عدد ممن له صحبة بهذا الاسم، ولعله اسم أبي الصلت الثقفي، لكن لم أجد في المراجع ما يؤيد ذلك، والله أعلم.

(٢) أي: من بني مدلج، وبنو مُدْلِج قبيلةٌ من كنانة، ومدلجٌ: هو ابن مرة بن عبد مناة بن كنانة. ينظر: تاج العروس مادة (دلج).

(٣) تفسير الطبري، تحقيق: شاكر (١٢:١٠٤) والأثر فيه عبد الله بن عمار، يروي عن أبي الصلت، وهو مجهول. ينظر: تقريب التهذيب (ص:٥٢٨)، ثُمَّ ينظر: تفسير القرطبي، ط: دار الكتب المصرية (١٠:١١١)، فقد أورد مثالاً آخر لعمر رجع فيه إلى لغة هذيل، وذلك في معنى التَّخَوُّف من قوله تعالى: ﴿أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ﴾ [النحل: ٤٧].

(٤) ينظر: حاشية رقم ٤ من تفسير الطبري، تحقيق: شاكر (١٢:١٠٤).

(٥) تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٧:٨٢). وقد رواه بسندين آخرين عن عكرمة (٢٧:٨٢،٨٣). وأخرجه أبو عبيدٍ في غريب الحديث، تحقيق: حسين محمد محمد شرف (٤:٣٧٣)، وينظر: الدر المنثور (٧:٦٦٧)، فقد ذكر مخرجيه، وهم: عبد الرزاق (تفسيره بتحقيق قلعجي ٢:٢٠٦)، والفريابي، وأبو عبيد في فضائله (ص:٢٠٥)، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا في ذم الملاهي (تحقيق: عمرو عبد المنعم، ص:٤٢، ٤٣) والبزار، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في سننه (١٠:٢٢٣). =

كذا ورد عن ابن عباس ﷺ، وقد نقلَ عنه أهلُ اللُّغةِ هذا المعنى، قالَ الزَّبِيدي (ت:١٢٠٥)[١]: «سَمَدَ سُمُوداً: غَنَّى. قالَ ثعلبٌ[٢]: وهي قليلةٌ، وقوله ﷻ: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١] فُسِّرَ بالغناءِ، ورُوِيَ عن ابن عبَّاسٍ أنه قال: السُّمودُ: الغناء بلغةِ حِمْيَرَ[٣].

وزاد في الأساس[٤]؛ لأن المُغَنِّيَ يرفعُ رأسَه ويَنْصِبُ صدرَه، ويقال للقينة: اسمُدينا؛ أي: ألهينا بالغناءِ»[٥].

وقال ابنُ دُرَيْدٍ (ت:٣٢١)[٦]: «والسامدُ: اللاهي، سَمَدَ يَسْمَدُ سُمُوداً، لغةٌ يمانيةٌ، يقولون للقينة: اسْمدينا؛ أي: ألهينا.

= وورد عن عكرمة أنها بلغة حِمْيَر، وهم من اليمن، ينظر: تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٧: ٨٢، ٨٣).

(١) محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، أبو الفيض، السيد المرتضى، الزَّبيدي، المصري، اللغوي، صاحب تاج العروس من جواهر القاموس. توفي سنة (١٢٠٥). ينظر: عجائب الآثار، للجبرتي (٢: ١٠٣ ـ ١١٤)، والأعلام، للزركلي (٧: ٢٩٧ ـ ٢٩٨).
والزَّبيدي: نسبة إلى زَبيد، وهو وادٍ بقرية الحُصَيب، غلب اسمه عليها، وهو علم مرتجل لهذا الموضع. ينظر: معجم البلدان (٣: ١٣١).

(٢) أحمد بن يحيى، أبو العباس، النحوي، اللغوي، الكوفي.

(٣) حمير: قوم من عرب جنوب الجزيرة العربية، وعاصمتهم ظفار، ولحنُهم يختلفُ عن لحنِ غيرهم من العربِ، ومن ذلك القصة المشهورة في دخول عربي من شمال الجزيرة على ملكهم، وكان في مكان عالٍ، فقال له: ثِبْ، فوثب العربي، فتكسَّر، فسأل الملك عنه، فأُخبِر بلغة العرب، فقال: ليس عندنا عربيَّت، من دخل ظفار حمَّرَ. ينظر: القاموس المحيط، مادة (حمر)، والساميون ولغاتهم (ص: ١١٢، ١١٥).

(٤) ينظر: أساس البلاغة، للزمخشري، مادة (سمد).

(٥) تاج العروس، مادة (سمد).

(٦) محمد بن الحسن بن دريد، أبو بكر الأزدي، من أزد عُمَان. توفي سنة (٣٢١). ينظر: مراتب النحويين (ص: ١٣٥ ـ ١٣٦)، وطبقات النحويين واللغويين (ص: ١٨٣ ـ ١٨٤).

وقد رُوِيَ هذا البيتُ في شعرِ عادٍ[١] ـ ولا أدري ما صحته، وقد احتج به العلماءُ ـ:

قَـيْـلُ، قُـمْ، فـانـظُـرْ إلـيـهـم، ثُـمَّ دَعْ عَـنْـكَ الـسُّـمُـودا

قَيْلُ: اسمُ رجلٍ، وجاء في القرآن: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾، قال أبو عبيدةَ: لاهون[٢]، والله أعلم»[٣].

وقال نَشْوَانُ الحِمْيَرِي (ت:٥٧٣)[٤]: «السَّمود: اللَّهوُ والغِناءُ، يقال: سَمَدَتِ القَينَةُ: إذا غنَّتْ، بِلُغَةِ حِمْيَرَ. والسَّامدُ: اللاهي، قال تعالى: ﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]: لاهون»[٥].

٣ ـ وعن ابن عباسٍ «أنه أبصرَ رجلاً يسوقُ بقرةً، فقالَ: من بعلُ هذه؟ فدعاه، فقالَ: ممن أنت؟ قالَ من أهلِ اليمنِ.

فقال: هي لغةُ ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥]؛ أي: ربّاً»[٦].

---

(١) نُسِبَ هذا البيتُ لِهُزَيْلَةَ بنتِ بكرٍ كما في تاج العروس، مادة (سمد)، والبيت في تهذيب اللغة (١٢: ٣٧٨)، ومقاييس اللغة (٣: ١٠٠)، والمعجم المفصل في شواهد العربية (٢: ٢١٥).

(٢) مجاز القرآن (٢: ٢٣٩).

(٣) جمهرة اللغة (٢: ٦٤٨).

(٤) نشوان بن سعيد الحميري، اليمني، اللغوي، استولى على قلاع وحصون، وقدَّمه أهل جبل صَبِر حتى صار ملكاً عليهم، وله تصانيف من أجلِّها: شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكَلوم، وهو مرتب على وزن الكلمة، توفي سنة (٥٧٣). ينظر: معجم الأدباء (١٩: ٢١٧ ـ ٢١٨)، وإشارة التعيين (ص: ٣٦٢).

(٥) شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، لنشوان الحميري، ط: عالم الكتب، بيروت (٢: ٤٢٣). وينظر: غريب الحديث، للحربي (٢: ٥٢٠ ـ ٥٢١)، وديوان الأدب، للفارابي، تحقيق: أحمد مختار عمر (٢: ١٠٥)، وكتاب الأفعال، للسرقسطي، تحقيق: حسين محمد شرف (٣: ٥٣٥).

(٦) ينظر: الدر المنثور (٧: ١١٩)، وقد ذكر أن ابن أبي حاتم وإبراهيم الحربي قد أخرجاه. وقد أورد في الصفحة نفسها روايتين عن ابن عباس، وهما مشابهتان لهذه الرواية. =

وهذا يعني أنَّ معنى ﴿بَعْلًا﴾: رَبًّا، وقد ورد هذا المعنى في كتبِ أهلِ اللُّغةِ، ومن ذلك ما ورد في لسان العرب: «وَبَعْلٌ والبَعْلُ جميعاً: صَنَمٌ، سُمِّيَ بذلك لعبادتهم إيَّاه كأنه ربهم، وقوله ﷻ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [الصافات: ١٢٥]، قيلَ: معناهُ: أتدعونَ رَبًّا، وقيلَ: هو صنمٌ، يقال: أنا بَعْلُ هذا الشيءِ؛ أي: ربُّه ومالِكُه؛ كأنَّه قالَ: أتدعونَ رَبًّا سوى اللهِ[1].

ورُوِيَ عنِ ابنِ عباسٍ أنَّ ضَالَّةً أُنْشِدتْ، فجاء صاحبُها، فقالَ: أنا بَعْلُها؛ يُريدُ: رَبَّها، فقالَ ابنُ عباسٍ: هو مِنْ قولِ اللهِ: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥]؛ أي: رَبًّا.

ووردَ أنَّ ابنَ عَبَّاسٍ مرَّ برجُلينِ يختصمانِ في ناقةٍ، وأحدُهما يقولُ: أنا بَعْلُها؛ أيْ: مالكُها وربُّها.

= وفي تفسير الطبري، ط: الحلبي (٢٣: ٩٢) رواية أخرى عنه من طريق عبد الله بن أبي يزيد، قال: «كنت عند ابن عباس، فسألوه عن هذه الآية: ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات: ١٢٥] قال: فسكت ابن عباس، فقال رجل: أنا بعلها، فقال ابن عباس: كفاني هذا الجواب».

وعن قتادة أن «بعلاً» بمعنى: ربًّا، بلغة أَزْدِ شَنُوءة، ينظر: الدر المنثور (٧: ١١٩).

(١) من العجيبِ أنَّ لفظَ «بعل» يكثرُ في اللُّغاتِ التي سكنت الشامَ، لذا تجدُ من الأسماءِ ما يبتدئ بهذا اللَّفظِ؛ كبعلبك، وبعل صفون، وبعل صور، وغيرها، وهو يرجع في هذه اللغات إلى معنى السيد أو الملكِ كما هو في العربيَّةِ، ويظهرُ ـ والله أعلم ـ أنه كان يُطلقُ على الآلهةِ التي كانتْ تعبدُ من دون الله، كما هو الحالُ في قوم إلياس عليه السلام الذين عبدوا البعلَ من دونِ اللهِ، وهذه لمحةٌ تحتاجُ إلى زيادةِ تحريرٍ، واللهُ الموفقُ.

ينظر ـ مثلاً ـ: معجم الحضارات السامية، لهنري عبودي (ص: ٢٢٩ ـ ٢٢٣).

وهذا الكتابُ وأشباهه ليس عمدةً في تحليلِ هذه المعاني؛ لأنه يعتمدُ في تحليلِها ومعرفةِ تاريخها على العبريةِ المعاصرةِ وعلى تراثِ اليهودِ، ودراساتِ العلمانيينَ للتاريخِ القديمِ وللأديانِ، وهذا يجعلُ بحثه غيرَ محايدٍ، وينقصه الكثيرُ من التحقيقِ، خاصَّةً أنه لا يعتمدُ على مصادرِ المسلمينِ الثابتة (الكتاب والسنة)، ولا على لغةِ العربِ في بيانِ كثيرٍ من غوامضِ مفرداتِ اللُّغاتِ القديمةِ وتاريخها.

وقولُهم: مَنْ بَعْلُ هذهِ النَّاقةِ؛ أيْ: مَنْ رَبُّها وصاحبُها»[١].

٤ ـ وعنْ مجاهدٍ (ت:١٠٤) في قولِهِ تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]» قالَ: «هي بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، أَوْصَدَ البابَ: أغْلَقَهُ»[٢].

وهذا المعنى الذي فسَّرَ بِهِ مجاهدٌ (ت:١٠٤) هو معنى هذا اللَّفظِ في لغةِ العربِ، قال ابنُ فارسٍ (ت:٣٩٥): «الواوُ والصَّادُ والدَّالُ: أصلٌ يدلُّ على ضَمِّ شيءٍ إلى شيءٍ، أَوْصَدتُ البابَ: أغلقتُه... والمُوصَدُ: المُطْبَقُ، وقال تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾ [الهمزة: ٨]»[٣].

ولم أجد ـ فيما وقفتُ عليه ـ أحداً من اللُّغويينَ نَصَّ على أنَّ هذه اللفظةَ مُختصَّةٌ بقريشٍ، ومجاهد (ت:١٠٤) عاش في مَكَّةَ، وهو ينقل هذا عن سماعٍ، ولذا فإنَّ تحديده هذا يُقبَلُ، والله أعلم.

٥ ـ وعن سعيدِ بنِ المسيبِ (ت:٩٥) والزُّهْرِي (ت:١٢٤)[٤] في قوله تعالى: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧]، قالا: «الماعونُ بلسانِ قريشٍ: المالُ»[٥].

ولم أجدْ في كتبِ اللُّغةِ التي رجعتُ إليها من نَصَّ على أنَّ الماعونَ: المالُ.

---

(١) لسان العرب، مادة (بعل).

(٢) الدر المنثور (٨:٥٢٦)، وقد ذكر أنَّ ابن أبي حاتم أخرجه.

(٣) مقاييس اللغة (٦:١١٧).

(٤) محمد بن مسلم بن شهاب، ينظر في ترجمته: القسم المتمم لتابعي أهل المدينة من كتاب طبقات ابن سعد (ص:١٥٧ ـ ١٨٦)، وتذكرة الحفاظ (١:١٠٨ ـ ١١٣).

(٥) أخرجه الطبري من طريق الزهري عنه، ينظر: تفسير الطبري، ط: الحلبي (٣٠:٣١٩)، وقد أخرج أثر سعيد ـ أيضاً ـ ابن أبي حاتم، كما في الدر المنثور (٨:٦٤٥). أمَّا أثر الزهري فقد أخرجه الطبري (٣٠:٣١٩)، وابن خالويه في إعراب القراءات السبع وعللها، تحقيق الدكتور: عبد الرحمٰن العثيمين (١:٢٠).
وينظر: تفسير لفظِ عضين، عن عكرمة، قال: «العَضْهُ: السِّحْرُ بلسان قريش». تفسير الطبري، ط: الحلبي (١٤:٦٦).